أطفال الخليج
مركز دراسات وبحوث المعوقين
www.gulfkids.com

علم أصول الفقه كمصدر من المصادر المعرفية للتفكير الناقد

دراسة وصفية مقارنة

إعـداد

د. عمر بن مساعد بن مهنا الشريوفي

الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة المدينة المنورة

مركز التدريب التربوي

مقدمـة

تعتمد الأمم في بناء منطلقاتها الفكرية على معتقداتها وثقافاتها وعناصر بيئاتها المادية والتربوية والنفسية ، وتؤثر وتتأثر تلك العوامل لتشكل العقل الجمعي لدى شعوبها . وهذا لا ينفي وجود القدر التفكيري المشترك بين شعوب الأرض ، ولكن يؤكد على خصوصية كل أمة وأثر تلك الخصوصيات على تاريخها وفكرها .

وينطلق هذا المبحث من الفلسفة السابقة ، المبنية على استقراء عام لعوامل بناء الفكر والتفكير لدى الشعوب . فكما هو معلوم أن تاريخ الأمم يختزن مواقف ونقاشات عقلية تبني بدورها قواعد في التفكير تنبثق منها محاكمات عقلية ، وتطبيقات منطقية، تؤثر وتتأثر بعناصر البيئة المختلفة . لذا فالفرضية الكبرى لهذا البحث هي اعتماد الخلفيات الدينية والثقافية والاجتماعية كمصادر إثرائية لأنواع التفكير المختلفة كالإبداع والنقد والتحليل وغيرها .

لذا تكمن أهمية البحث وفائدته في النقاط التالية :

١- الاعتقاد الجازم بأن النقاش الفقهي الإسلامي الذي حدث ويحدث عبر التاريخ الإسلامي الطويل أثرى العقل العربي والمسلم بأنماط تفكير عامة مشتركة بين كل الشعوب ، وبأنماط خاصة في التفكير تكونت كنتيجة حتمية لخصوصية التشريع الإسلامي . لذا أرى أن اكتشاف مثل هذه الأنماط والمهارات العقلية أمر مهم لإضافته للجهد العالمي في مجال التفكير عامة والناقد منه خاصة .

٢- علاقة التفكير الناقد عادة بالخلفيات الثقافية والدينية للأمم يحتم علينا دراسة أبعاده ومفهومه من خلال تلك الخلفيات ، لذا فدراسة التفكير الناقد من خلال العقل الغربي وما يتبعه من خلفيات ثقافية ودينية واجتماعية يخلق نوع محدود من العزلة بينه وبين المتلقي العربي أو الإسلامي ، وفي المقابل ينتج من عملية دمج التفكير الناقد وتفاعله مع الخصوصية الإسلامية تفاعل المتلقي في البيئة الإسلامية ، وإحساسه بأهميته ، وبقربه من نمط التفكير العام .

٣- اعتماد علم أصول الفقه كمصدر معرفي من مصادر التفكير الناقد لا يعد فقط إثراءً لمهارات التفكير الناقد وإنما نشراً لمفهوم القواعد الأصولية ، وتيسيراً لفهمها ، واستخدامها

في مجالات أوسع من مجال الدراسات الشرعية ، لتشمل جميع مناحي الحياة ، من خلال ربطها بمهارات التفكير التي ترتبط بالحياة العملية لجميع الناس .

٤- مدى احترام الإسلام للعقل البشري ، وربط مصير الإنسان ليس بالتشريع الإلهي فقط ، وإنما بالاجتهاد العقلي المبني على التشريع الرباني قال تعالى (... ولو ردوه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ...) النساء : ٨٣ .

٥- إبراز الدور العقلي والفكري للفقهاء عبر تاريخ الإسلام الطويل ، من خلال نقاشاتهم الاجتهادية ، و بلورتهم لقواعد علم الأصول .

والله أسأل التوفيق والسداد ، والأجر والمثوبة ، إنه ولي النعمة والفضل .

تساؤلات البحث :

تتركز تساؤلات البحث حول مناقشة الفرضية التالية : مدى صلاحية علم أصول الفقه الإسلامي كمصدر من المصادر المعرفية للتفكير الناقد . والتساؤلات على النحو التالي :

١- هل يتفق موضوع علم أصول الفقه مع موضوع التفكير الناقد ؟

٢- هل يشترك علم أصول الفقه في قواعده مع مهارات التفكير الناقد ؟

٣- هل يتفرد علم أصول الفقه بالحديث عن قواعد منطقية تفكيرية لا توجد في أدبيات وموسوعات مهارات التفكير الناقد .

٤- مدى صلاحية توظيف القواعد الأصولية في أطر التفكير الناقد العملية .

والإجابة على تلك التساؤلات هي إجابة على فرضية البحث الأساسية .

محاور البحث :

المحور الأول – مفهوم وموضوع علم أصول الفقه والتفكير الناقد .

المحور الثاني - القاسم العقلي التفكيري المشترك بين علم أصول الفقه و التفكير الناقد .

المحور الثالث : المهارات المشتركة بين علم أصول الفقه وعلم التفكير الناقد .

المحور الرابع - تفرد علم أصول الفقه بالحديث عن قواعد عقلية ومنطقية لا توجد في علم التفكير الناقد .

المحور الخامس - توظيف القواعد الأصولية في أطر التفكير الناقد العملية .

حدود البحث

التزم الباحث بالحديث عن القواعد الأصولية الفقهية ومهارات التفكير الناقد في جانبيهما العملي وليس النظري . وعلى ذكر شواهد وأمثلة على سبيل المثال لا الحصر ، وذلك التزاماً بطبيعة البحث المقتضية للإيجاز .

المحور الأول ـ مفهوم وموضوع علم أصول الفقه والتفكير الناقد .

أولاً- مفهوم علم أصول الفقه :

" هو مجوعة القواعد العامة التي تستخدم في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية " [1]

- ويقصد بالقواعد العامة طرق الاستنباط والاستخراج من خلال فهم النص الشرعي ، و التفكير المنطقي السليم ،و دلالات اللغة ومعانيها .
- ويقصد بالأحكام الشرعية الفرعية أو العملية : خطاب الشرع الذي يتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو التخيير أو الوضع .
- ويقصد بالأدلة التفصيلية أي الأدلة التي يستفاد منها الأحكام العملية . ومثال الأدلة : القرآن ، والسنة ، والقياس ، والإجماع وغيرها .

موضوع علم أصول الفقه :

النظر في الدليل الشرعي الكلي من حيث ما يثبت به من الأحكام الكلية ، فالأصولي يبحث في القياس وحجيته ، والعام وما يقيده ، والأمر وما يدل عليه وهكذا . و لإيضاح ما سبق نستعرض المثال التالي : القرآن هو الدليل الشرعي الأول على الأحكام ، ونصوصه التشريعية لم ترد على صيغة واحدة ، بل منها ما ورد بصيغة الأمر ، ومنها ما ورد بصيغة النهي ، ومنها ما ورد بصيغة العموم أو بصفة الإطلاق . فصيغة الأمر ، وصيغة النهي ، وصيغة العموم ، وصيغة الإطلاق ، أنواع كلية من أنواع الدليل الشرعي العام وهو القرآن .

فالأصولي يبحث في كل نوع من هذه الأنواع ليتوصل إلى نوع الحكم الكلي الذي يدل عليه ، مستعيناً في بحثه باستقراء الأساليب العربية والاستعمالات الشرعية . فإذا وصل ببحثه إلى أن صيغة الأمر تدل على الإيجاب ، وصيغة النهي تدل على التحريم ، وضع القواعد التالية : الأمر

[1] - الواضح في أصول الفقه ، محمد سليمان الأشقر ، ص ٧ .

للإيجاب ، والنهي للتحريم . وهذه الأحكام الكلية وغيرها مما يتوصل الأصولي ببحثه إلى وضعها، يأخذها الفقيه قواعد مسلمة ، ويطبقها على جزيئات الدليل الكلي ليتوصل بها إلى الحكم الشرعي العملي التفصيلي ، فيطبق قاعدة : الأمر للإيجاب على قوله تعالى (يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود ...) المائدة : ١ . ويحكم على الإيفاء بالعقود بأنه واجب . ويطبق قاعدة : النهي للتحريم على قوله تعالى (... لا يسخر قوم من قوم ..) الحجرات : ١١ ويحكم بأن سخرية قوم من قوم محرمة . ٢

الفرق بين علم أصول الفقه وعلم الفقه

يمكن تلخيص موضوع علم أصول الفقه ، والفرق بينه وبين علم الفقه على النحو التالي :

الأدلة **التفصيلية :**
(الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها) .
مثال(١) : قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ..) سورة البقرة /٤٣ .
مثال (٢) وقوله تعالى : (ولا تقربوا الزنا ..) سورة الإسراء /٣٢ .

↓ **يستقرئ الأصولي منها**

الأحكام العامة أو القواعد الأصولية
مثال ١ : الأمر المطلق للوجوب .
مثال ٢ : التحريم المطلق للنهي .

↓ **يستخدمها الفقيه**

الحكم على أفعال العباد

[2] علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ، ص ١٣ .

مثال تطبيقي لعمل الفقيه :

- ما حكم أكل مال اليتيم ؟ نوعه ← **فعل مكلف .**

- (واتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم..) نوعه ← **دليل تفصيلي**

- النهي للتحريم نوعه ← **قاعدة أصولية (أحكام عامة) .**

- إذن أكل مال اليتيم محرم . نوعه ← **فقهي شرعي .**

التفكير الناقد :

مفهومه : هو حل المشكلات أو التحقق من الشيء ، وتقييمه بالاستناد إلى معايير متفق عليها مسبقاً.

3 Udall and Daniels

ويعرّفه كذلك (ديوي) :" التمهل في إعطاء الأحكام ، وتعليقها لحين التحقق من الأمر " ٤

ويعرفه " بول – ليندا Richard Paul – Linda Elder التفكير الناقد : بأنه نمط من التفكير يجعل المفكر يحسن من نوعية تفكيره من خلال إتقان التحليل والتقويم . ٥

لذا يتضمن موضوع التفكير الناقد الأمور التالية :

- الحاجة إلى الأدلة والشواهد التي تدعم الفكرة قبل الحكم على صدقها.
- تحديد الأساليب المنطقية التي تساعد في تحديد موثوقية الأدلة والشواهد .
- مهارة توظيف الأساليب والأدلة والشواهد السابقة واستخدامها في تقويم الفكرة استخداما منطقيا.

---

[3] تعليم التفكير – تطبيقات عملية ، فتحي جروان ، ص ٦١ .

[4] تعليم التفكير الابتكاري والناقد – دراسة تجريبية ، فادية الخضراء ، ص ١١٣ .

[5] Critical thinking , **Richard Paul – Linda Elder , p xxiii**

مهارات التفكير الناقد :

في الإطار النظري السابق قنن كثير من علماء التفكير طرقاً ومهارات لتوجيه التحليل و النقد والحكم على الأشياء ، و تهدف هذه المهارات إلى تنظيم هذا النشاط العقلي الذي يمارسه الإنسان بشكل دائم، وصولاً لاتخاذ القرار السليم في تقويم ونقد الأشياء .

أنواع مهارات التفكير الناقد :

ذكر " جروان قائمة من المهارات تضم معظم مهارات التفكير الناقد ، منها :

١- التمييز بين الحقائق والمزاعم .

٢- تحديد مصداقية المعلومات .

٣- تحري التحيز من عدمه .

٤- التعرف على المغالطات المنطقية .

٥- التعرف على أوجه التناقض . تحديد قوة البرهان أو الادعاء . [٦]

أما " نيدلر " (kneedler) فقد استعرض ١٢ مهارة من مهارات التفكير الناقد ومنها :

١- القدرة على تحديد المشكلات والمسائل المركزية .

٢- تمييز أوجه الشبه والاختلاف .

٣- تحديد المعلومات المتعلقة بالموضوع .

٤- صياغة الأسئلة التي تسهم في فهم أعمق للمشكلة .

٥- القدرة على معرفة معايير الحكم على الأشياء . [7]

ويصنف الباحثان " أودل ودانيالز " (Udall and Daniels) مهارات التفكير الناقد إلى ثلاث فئات على النحو التالي :

١- مهارات التفكير الاستقرائي .

٢- مهارات التفكير الاستنتاجي .

٣- مهارات التفكير التقويمي . [8]

---

[6] تعليم التفكير ، فتحي جرون ، ص ٦٦ .

[7] نقلا عن نايفة قطامي ، تعليم التفكير للمرحلة الأساسية ، ص ١٢٨

واستعرضت " ناديا سرور " في ترجمتها وتقنينها لبرنامج " RISK "[9] ، وتجريبها له على البيئة التعليمية العربية ، ٥١ مهارة من مهارات التفكير الناقد ، موزعة على ١٠ أبواب منها :

١- الباب الأول : حل المشكلات اليومية ، ويتضمن مهارتي ؛ الحفز الذهني ، والمشكلات اليومية المتعددة الجوانب.

٢- الباب الثاني : مناقشات في شؤون يومية ، ويتضمن ثلاث مهارات ؛ تمييز المناقشات المؤيدة ، وأسئلة المناقشات ، و تفنيد المناقشات والمجادلات .[10]

المحور الثاني : القاسم العقلي التفكيري المشترك بين علم أصول الفقه و التفكير الناقد .

إن المتتبع لنقاش العلماء في مجال أصول الفقه و التفكير الناقد ليدرك تماماً العلاقة الموضوعية بينهما ، وهي علاقة عموم وخصوص من وجه واحد ، فعلم أصول الفقه يعتمد في تقعيده للأصول على دلالات الشرع واللغة والتفكير المنطقي السليم ، بينما يعتمد علم التفكير الناقد على التفكير المنطقي فقط ، فعلم الأصول أشمل من حيث العموم والخصوص . ولكن تبقى العلاقة العقلية المنطقية هي القاسم المشترك بين المجالين . وسوف استعرض الجوانب العقلية المنطقية بين العلمين باختصار .

المنطقية في علم الأصول :

تحدث العلماء الأصوليون كثيرا عن مصادر علم أصول الفقه ، والمواطن التي يستمد منها ؛ كالدليل الشرعي (مثل الكتاب والسنة) ، والدليل العقلي الصحيح المبني على قواعد منطقية يشترك في قبولها جميع العقول السليمة . وفي ذلك يقول الآمدي :

" اعلم أن أصول الفقه هي : أدلة الفقه ... وحد الدليل أنه يتوصل بالنظر الصحيح فيه إلى مطلوب خبري .... وأما حده على العرف الأصولي : فهو ما يمكن التوصل به إلى العلم بمطلوب خبري ، وهو منقسم إلى عقلي محض ، وسمعي محض ، ومركب من الأمرين . فالأول (أي العقلي

---

[8] نقلا عن تعليم التفكير الابتكاري والناقد – دراسة تجريبية ، فادية الخضراء ، ص ١١٨ .

[9] برنامج " RISK " من تأليف " هارنادك " ويهتم البرنامج بتعليم التفكير الناقد .

[10] برنامج " RISK " لتعليم التفكير الناقد ، دليل المعلم ، ناديا سرور ١٥/١ .

المحض) كقولنا في الدلالة على حدوث العالم : العالم مؤلف ، وكل مؤلف حادث ، فيلزم عنه العالم حادث ."١١

لذا فعلم أصول الفقه يرتكز على ثلاث ركائز أساسية : علم المنطق ، وعلم اللغة العربية ، ومباحث الأحكام الشرعية . واستفاد علم الأصول من علم المنطق المقاييس والتعريفات والبيانات المنطقية ، والتطبيقات القياسية والاستقرائية ، وإجراء المقارنات والموازنات ، والتنسيق بين الأدلة والمتعارضات والمتشابهات .١٢ وعلى ذلك أمثلة كثيرة منها :

مثال (١) : القاعدة الأصولية " الحرام لا يكون حلالا لشخص واحد في آن واحد " والقاعدة الأصولية " إذا اختلف مجتهدان في حكم فأحدهما مخطئ" وغيرهما من القواعد الأخرى . وتم استنباط القاعدتين السابقتين من القاعدة المنطقية " اجتماع النقيضين مستحيل " .

ومثال(٢) : أفاد الأصوليون من القاعدة المنطقية " مقدمتان تنتج نتيجة " في توظيفها في الأحكام التالية :

مثال	الموضوع	المقدمة الأولى	المقدمة الثانية	النتيجة
١	الزكاة	كل حكم فيه مصلحة .	وجوب الزكاة حكم .	وجوب الزكاة فيه مصلحة .
٢	بيع المجهول	كل غرر حرام	بيع المجهول غرر	بيع المجهول حرام

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى لأنها داخلة في كل مبحث من مباحث علم الأصول ، بداية من الأحكام التشريعية وأدلتها وقواعد الاستنباط والترجيح . كما أنه سوف يتضمن هذا البحث الكثير من الأمثلة عند مناقشة المحاور الأخرى .

[11] الإحكام في أصول الأحكام ، ١١/١ بتصرف يسير .
[12] انظر تعليم علم الأصول ، نور الدين الخادمي ، ٤٠ .

لا تحتاج العبارة السابقة لمزيد بحث أو محاولة إثبات ؛ لأن مضمون وموضوع التفكير الناقد هو تنظيم النشاط المنطقي النقدي عند الإنسان ، وتقنين مبادئ وطرق ومهارات عقلية بحتة ، لتسهيل الوصول إلى القرار السليم ، وحل المشكلات بأقل وقت ، وأدنى جهد ، وأيسر كلفة .

المحور الثالث : المهارات المشتركة بين علم أصول الفقه وعلم التفكير الناقد .

تتسع الدائرة المشتركة المشتملة على المهارات النقدية بين علمي أصول الفقه والتفكير الناقد كلما تعمقنا في مضامين القواعد والمبادئ والطرق في العلمين ، دون الحاجة للوقوف على الأسماء ، فالعبرة بالمسمى وليس بالأسماء .

ويعرض جدول المقابلة التالي بعضاً من المهارات المشتركة في المضمون بين علمي أصول الفقه والتفكير الناقد . مع الإشارة إلى أن الجدول يتضمن أمثلة على سبيل المثال لا الحصر .

علم أصول الفقه	مهارات التفكير الناقد
الاستقراء - ويقصد به عند الأصوليين : إثبات الحكم في أمر كلي لثبوته في جميع جزئياته أو أغلبها . [١٣]	**الاستقراء - ويعرفه علماء التفكير الناقد: التوصل إلى استنتاجات أو تعميمات ، تتجاوز حدود الأدلة المتوفرة أو المعلومات التي تقدمها المشاهدات .** [١٤]
الاستنباط : ويطلق عند الأصوليين على الاستدلال ، ويقصدون به معرفة الحكم الفقهي بناء على القواعد والأحكام الشرعية .	**الاستنباط – عملية استدلال منطقي ، تستهدف التوصل لاستنتاج ما ، أو معرفة جديدة ، بالاعتماد على فروض ، أو مقدمات موضوعة .** [١٥]
التناقض – وتعبر عنه القاعدتان الأصوليتان : " الحرام لا يكون حلالا لشخص واحد في آن واحد " و " إذا اختلف مجتهدان في حكم فأحدهما مخطئ "	**التناقض – اعتبر علماء التفكير أن تحري التناقض في العبارة وكشفها يعد مهارة نقدية .** [١٦]
السبر والتقسيم – وهو أحد مسالك العلة[١٧] **، ويقصد بالسبر والتقسيم : هو توليد علل افتراضية لحكم ما ، ثم**	**إدراك الافتراضات – وهي مهارة تعني بفرض الفروض،وفهم الأقوال والادعاءات، ثم تقيمها للوصول**

[13] انظر المرجع السابق ، ٣٢٣ .
[14] التفكير النقدي ، ستانلي ونك وآخرون ، ترجمة سناء العاني ، ١٩ .
[15] المرجع السابق ، ٢٤ .
[16] انظر تعليم التفكير ، جروان ، ٦٢ .
[17] العلة : الطرق التي يتوصل بها إلى معرفة علل الأحكام في الأدلة (وتعرّف العلة بأنها مناط الحكم ، وسببه ،و أمارته . ومثال ذلك : علة تحريم الخمر الإسكار) .

تقيم كل علة لاختبار مدى صلاحيتها أن تكون هي علة الحكم التي أرادها المشرع . [18]	**إلى الحكم عليها .** [19]
المقدمات والنتائج .	**التسلسل المنطقي .** [20]
صحة الرواية – تبنى القواعد الفقهية – كما أسلفت- على الكتاب والسنة ، والدلالات اللغوية ، والأساليب المنطقية . لذا يسعى الأصولي إلى استخدام منهج المحدثين للتأكد من صحة الرواية التي يبني عليها القواعد الأصولية . وأدرج بعض علماء الأصول (الآمدي وغيره) في كتبهم مباحث في صحة الرواية [21]	**تحديد موثوقية المصادر** [22]

المحور الرابع - تفرد علم أصول الفقه بالحديث عن قواعد عقلية ومنطقية لا توجد في علم التفكير الناقد .

تميز علم الأصول وعبر تاريخه الطويل بتقنين قواعد منطقية نقدية ، تمثل خلاصة النقاش العقلي الذي دار بين الفقهاء عبر عصور النهضة الإسلامية ، وتعكس وجود عناصر بيئية وتشريعية محفزة للاجتهاد العقلي . واتسمت تلك القواعد بأنها تمثل استقراءً رائعاً ومتكاملا بين التشريع والعقل ، لتثبت أن للإسلام رعاية خاصة للعقل والتفكير . ويمكن الاستفادة منها ، وتوظيفها في مهارات التفكير الناقد في المجال التربوي والتعليمي وغيرهما . ومن هذه القواعد الأصولية العقلية :

المطلق والمقيد

العام والخاص .

المفهوم والمنطوق .

- المثبت أولى من النافي
- الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال .

---

[18] انظر علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ، ٧٧ .
[19] انظر برنامج " RISK " لتعليم التفكير الناقد ، ناديا سرور ، ١٨٩/١ .
[20] المرجع السابق ، ٤٧ .
[21] الإحكام في أصول الأحكام ، ٢/٢ وما بعدها .
[22] Infusing The Teaching Of Critical And Creative Thinking into Secondary Science ,Robert Swartz and others, p85

- الجمع بين الأدلة أولى من العمل بأحدهما .

وسوف أتطرق إلى شرح بعض من تلك القواعد الفقهية ، تمهيدا لتوظيفها في التفكير الناقد كما سيأتي في المحور الخامس .

القاعدة الأولى : الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال

قعّد علماء الأصول القاعدة التالية " الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال " للترجيح بين الأدلة في حالة التعارض ، وهي قاعدة عقلية محضة ، يمكن استخدامها في مجالات كثيرة غير أصول الفقه .

وتعني القاعدة ؛ بأن دليل المخالف إذا كان يحتمل وجهة نظر قائله ووجهة نظر مخالفه يسقط الاستدلال به ؛ لاحتماله أكثر من وجه.

مثالها في الفقه الإسلامي :

نقاش العلماء حول جواز إفطار الصائم صيام التطوع ، وهل يجوز له أن يفطر أم الواجب عليه أن يكمل ، وإذا أفطر هل يجب عليه قضاء يوم مكانه ً.

أدلة المجيزين للفطر : أمر النبي عليه الصلاة والسلام لجويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن تفطر يوم الجمعة ، وقد كانت صائمة صيام تطوع ، ولم يأمرها أن تقضي مكانه يوماً أخر .

أدلة المانعين من الإفطار :استدلوا على المنع بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وحفصة رضي الله عنهما أن يقضيا يوماً مكان اليوم الذي أفطراه ، وقد كانتا صائمتين صيام تطوع ، وقد أهديت إليهما شاة فأكلا منها .

الترجيح باستخدام القاعدة السابقة :

يقول " الزرقاني " : (فيه نظر فأما أمره لجويرية فيحتمل أنها صامت بغير إذنه واحتاج لها ، وأما فعله فلعله لعذر . وإذا احتمل ذلك سقط به الاستدلال ...) .٢٣

[23] انظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ،الزرقاني ، ٥٠٦/١ .

ومعنى الاستدلال السابق أن دليل المجيزين للفطر يحتمل أكثر من وجه ، كأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد احتاج لها وهي قد صامت بغير إذنه . لذا فالاستدلال له أكثر من وجه وليس وجهاً واحداً . وبهذا يسقط الاستدلال به .

القاعدة الثانية : المثبت أولى من النافي

استخدم الأصوليون هذه القاعدة العقلية كثيرا عند الترجيح بين الأدلة الشرعية[٢٤] ، وتعني هذه القاعدة : أنه في حالة التعارض بين الأدلة التي تتضمن مشاهدتين متناقضتين لقضية واحدة : كأن يرى زيد وعمرو حادثة واحدة ، ولكن لدى زيد مزيدا من التفصيل لم يذكره عمرو أو نفاه ، فتقبل زيادات زيد ، ويقدم دليله على دليل عمرو ؛لأن لديه زيادة علم ومشاهدة لم يراها عمرو . فيعبرون بقولهم المثبت (زيد) أولى من النافي (عمرو) .

ومن أمثلة استخدام العلماء لهذه القاعدة :

١- في الترجيح بين الروايات الخاصة بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة . [٢٥]

٢- في باب الطهارة من نجاسة الكلب إذا ولغ في الإناء . [٢٦]

٣- في طواف النبي صلى الله عليه وسلم على الدابة . [٢٧]

٤- في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للركعتين قبل المغرب . [٢٨]

القاعدة الثالثة : الجمع بين الأدلة أولى من العمل بأحدها

قد تتعارض الأدلة والشواهد في وصف حادثة معينة ، أو تفسير ظاهرة كونية غريبة ، أو توضيح أسباب مرض معين . ويلجأ كثير من أهل الاختصاص عند وجود وفرة من التفسيرات والتوضيحات التي يبدو في ظاهرها التعارض إلى إعمال العقل في اختيار سبب واحد وإلغاء ما سواه ، دون ترتيب للأولويات المنطقية في التعارض ، لذا رتب الأصوليون مراتب

---

[24] انظر المغني ، ابن قدامة ، ٢٥٨/١٠ . و شرح العمدة ،ابن تيمية ، ٤٨٨/٤ . و حاشية البجيرمي ، سليمان البجيرمي ، ١٥٥/٢ .
[25] شرح العمدة ، ابن تيمية ، ٤٨٨/٤ .
[26] المغني ، ابن قدامة ، ٥٢/١ .
[27] مغني المحتاج ، الشربيني ، ٤٨٧/١ .
[28] شرح فتح القدير ، السيواسي ،٤٤٦/١ .

الترجيح المنطقية بين الأدلة ، وأول مرتبة هي ما نصوا عليه بقولهم : " الجمع بين الأدلة أولى من العمل بأحدها" . وهذا ما يؤيده المنطق السليم الذي يقبل كل تفسير صحيح لحادثة معينة ، ويؤجل عملية الإلغاء إلى مرحلة تعذر الجمع بين الأدلة . وهذه القاعدة العقلية من شأنها أن تربي الجيل على الشمولية في التفكير ، وقبول الأخر المخالف ، والمرونة العقلية ، وتنظيم الأولويات التفكيرية ، وهذا ما يحتاجه المفكر الناقد لبناء عقلية منفتحة أو ما يسمى عند علماء التفكير الناقد Fair-minded thinker [٢٩] .

ومن أمثلة استخدام العلماء لهذه القاعدة

١- في الترجيح بين روايات الاستنثار في الوضوء ، حول وجوبه من عدمه . [٣٠]

٢- في طريقة حمل جنازة الميت ، وأي الطرق أقرب إلى السنة . [٣١]

٣- الخلاف في الصدقات المحرمة. [٣٢]

القاعدة الرابعة : المنطوق والمفهوم

تتضمن جميع العبارات الكلامية مضموناً منطوقاً به في الكلام ، ومضموناً مسكوتاً عنه يفهم من سياق الخطاب . وهذا ما يعرف في مباحث علم الأصول " بالمنطوق والمفهوم " .

وفائدة تحليل مضمون العبارات إلى منطوق ومفهوم هو تعزيز فهم النص بطريقة تتجاوز حدود المباني إلى معرفة المعاني والمضامين التي تؤثر في عملية اتخاذ القرارات العملية المبنية على فهم النص . وتؤثر إيجاباً أيضا في نقد تلك العبارات والحكم عليها وهذا هو صلب معنى التفكير الناقد .

المنطوق : هو معنى مذكور في الكلام نفسه .

المفهوم : هو دلالة اللفظ على حكم شيء لم يذكر في الكلام ولم ينطق به .

مثال تطبيقي :

من يحصل على ستين درجة في الاختبار ينجح .

---

[29] Critical thinking , **Richard Paul – Linda Elder , p 1**

[30] انظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ،الزرقاني ، ٥٠٦/١ .

[31] الإنصاف ، المرداوي ، ٥٤٠/٢ .

[32] الأم ، الشافعي ، ٥٤/٤ .

منطوق العبارة : الحاصل على ستين درجة يعتبر ناجحاً .
مفهوم العبارة : الحاصل على سبعين درجة يعد ناجحاً أيضاً .

واستخدم الأصوليون تلك القاعدة العقلية لفهم دلالات الألفاظ ومعانيها ، ووظّفوها في الترجيح بين الأقوال والروايات . وفرعّوا على تلك القاعدة تفاصيل منطقية كثيرة ومنها :
أقسام المفهوم
١- المفهوم الأولي : وهو ما كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به ، مثاله قوله تعالى (فلا تقل لهما أف ...) الإسراء :٢٣ . فقد دل المنطوق على تحريم التأفيف ، ودل المفهوم على تحريم الضرب ، فكان المسكوت عنه (وهو الضرب) أولى بالتحريم والمنع من المنطوق به (وهو التأفيف) .
٢- المفهوم المساوي في الحكم للمنطوق : ومثاله قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا) النساء : ١٠ . فقد دل منطوق الآية على تحريم أكل مال اليتيم ، ودل مفهومها على تحريم إتلاف مال اليتيم ، وكلا المعنيين (المنطوق والمفهوم) متساويان ، ولذلك سمي هذا المفهوم بالمفهوم المساوي .
٣-مفهوم المخالفة : وهو دلالة اللفظ على ثبوت نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه .
مثالها في قول النبي صلى الله عليه وسلم " وفي صدقة الغنم في سائمتها " [٣٣]. فإن منطوق الحديث أوجب الزكاة في الغنم السائبة (وهي الغنم التي ترعى من الأرض ، وعكسها المعلوفة) ، وأما مفهومه فقد رفع وجوب الزكاة عن الغنم المعلوفة . وهذا المعنى الذي فهم من الحديث مخالف للمعنى الذي صرح أو نطق به . [٣٤]

المحور الخامس ـ توظيف القواعد الأصولية في أطر التفكير الناقد العملية

تعد قواعد علم أصول الفقه مصدراً غنياً لإثراء الجوانب المهارية العملية لعلم التفكير الناقد ، وهذا لا يعني استبعاد الأطر النظرية لعلم الأصول وفائدتها للتفكير الناقد ،ولكن ظروف

[33] أخرجه البخاري ، كتاب الزكاة ، باب زكاة الغنم ،
[34] انظر تعليم علم الأصول ، نور الدين الخادمي ، ٣٧٩ وما بعدها .

الإيجاز، ومحدودية البحث ، تستلزم إفرادها بمبحث مستقل ٣٥ . وسوف يتركز الحديث في هذا المبحث على آلية توظيف قواعد علم الأصول في مهارات التفكير الناقد ، مع ذكر بعض الأمثلة التطبيقية .

آلية توظيف القواعد الأصولية في مهارات التفكير الناقد في المجال التعليمي . [٣٦]

١- تحديد المضمون أو المحتوى التعليمي المناسب لتطبيق القواعد الأصولية الناقدة .

٢- صياغة الأسئلة الموجهة والمنظمة للتفكير (خريطة التفكير) .

٣- تصميم المنظمات التفكيرية(Graphic maps) [٣٧] لتسهيل تطبيق المهارة في المحتوى .

مثال تطبيقي (١) : توظيف القاعدة الأصولية " الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال "

١- **المحتوى التعليمي :** مقرر الجيولوجيا للصف الثاني ثانوي .

الهدف – إزالة التعارض الظاهري بين الآية الكريمة والنظرية العلمية .

- تضمن مقرر علم الأرض في المرحلة الثانوية نظريات ظهور الجبال ، وأن التفسير العلمي المعتمد لظهورها هو نتيجة حتمية لتصادم الصفائح الكونية ، أي أن الجبال نشأت من الأرض .

- ولكن القارئ لقوله تعالى { وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم .... } سورة النحل أية ١٥ ، يلحظ الوصف القرآني الذي يدل على أن الجبال ألقيت في الأرض ولم تنشأ منها كما تزعم النظريات العلمية . [٣٨]

٢- الأسئلة الموجهة والمثيرة للتفكير الناقد .

- حدد الألفاظ التي تضمنت موطن الخلاف بين التفسير العلمي والوصف القرآني ؟
- هل ألفاظ الخلاف قطعية الدلالة لا يمكن أن تحتمل أكثر من وجه ، أم العكس ؟
- اسقط الاستدلال الذي يحمل دليله أكثر من وجه ؟

---

[35] وقد بدأ الباحث بتحديد الأطر النظرية لعلم أصول الفقه و مدى حاجة علم التفكير الناقد لها ، لاسيما وعلماء التفكير الناقد يؤكدون على ضرورة وجود اطر ثقافية واجتماعية ودينية يعمل التفكير الناقد من خلالها ومن أجل تعزيزها- أيضا - في نفوس الناشئة .

[36] قام الباحث كثيرا أثناء تقديمه للبرامج التدريبية في مجال التفكير بتطبيق القواعد الأصولية على المحتوى التعليمي كمهارة من مهارات التفكير الناقد ، ونتيجة لاستجابات المتدربين اتضح جليا سهولة التطبيق ، وضرورة الاهتمام بعلم أصول الفقه كمصدر من المصادر المعرفية للتفكير الناقد .

[37] المنظمات البيانية وسيلة مفيدة لتوضيح العلاقات المهمة في عمليات التفكير ، وتساعد الطالب وترشده أثناء عملية التفكير ، كما أنها تنظم المعلومات ، بدلا من الاحتفاظ بها في الذاكرة .

[38] هذا الاعتراض كان نتيجة نقاش حقيقي بين الباحث وأحد الأكاديمين .

٤- المنظم البياني

ألفاظ الخلاف	الدلالات المحتملة	صحة الاستدلال	النتيجة
قوله تعالى (وألقى...)	**- قد تعني الإلقاء من علو .** **- وقد تدل على معاني أخرى مثل : الاستحضار كما في قوله تعالى (ألقى السمع وهو شهيد) أي أحضر سمعه وقلبه شاهد لذلك غير غائب عنه .** [٣٩] **- ومما يدل على أن الإلقاء لا يعني سقوط الجبال من علو ، ورود آيات أخرى تصف خلق الجبال بألفاظ أخرى ، مثل قوله تعالى (وجعل في الأرض رواسي أن تميد بكم ...) الأنبياء :٣١**	**غير صحيح**	**اللفظ القرآني (ألقى) يحتمل أكثر من وجه ، فهو ظني الدلالة ، و لا يعارض النظرية العلمية في تكون الجبال .**

مثال تطبيقي (٢) : توظيف القاعدة الأصولية " الجمع بين الأدلة أولى من العمل بأحدها "

١- المحتوى التعليمي : مقرر العلوم للصف الثالث متوسط .

الهدف – درء التعارض الظاهري بين الآية الكريمة والنظرية العلمية .

يتضمن مقرر العلوم في المرحلة المتوسطة دورة الماء في الطبيعة : والتي تبدأ بتبخر الماء من المسطحات المائية في الأرض ، وبتصاعدها إلى السماء ،ثم تكثفها في طبقات الجو العليا ، وتساقطها على هيئة مطر .

ولكن القارئ لقوله تعالى { وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض .... } سورة المؤمنون : ١٨ ، يلحظ الوصف القرآني الذي يدل على أن المطر نزل من السماء ولم يتبخر من الأرض .

٢ - الأسئلة الموجهة والمثيرة للتفكير الناقد .

- هل تصورت جيدا الموضوعين ، وتعرفت على معنييهما ؟

- ما هي مواطن الخلاف بين الموضوعين ؟

[39] لسان العرب ، ابن منظور ، ٢٤٠/٣ .

- هل يمكن الجمع بين الموضوعين دون الإخلال بمضمونيهما ؟

٣- المنظم البياني

فكرة الموضوع الأول	فكرة الموضوع الثاني	مواطن الخلاف	إمكانية الجمع
أن للماء دورة في الطبيعة ، وعناصر هذه الدورة المسطحات المائية في الأرض – التبخر بفعل الحرارة – التكثف في طبقات الجو العليا – هطول المطر كنتيجة للتكثف .	**أن المطر نزل من السماء .**	**- اللفظ القرآني : (أنزل) - والتفسير العلمي : أن للماء دورة في الطبيعة .**	**لا يوجد تعارض بين الوصفين ،لأن الوصف القرآني بدأ من مرحلة الإنزال ، و التفسير العلمي بدأ من مرحلة تبخر المسطحات المائية . وبالتالي لا يعني نزول المطر من السماء أنه لم يتكون من عملية التبخر من الأرض .**

نتائج البحث

أولاً – صلاحية توظيف القواعد الأصولية الفقهية في الأطر العملية للتفكير الناقد ، بمعنى أن قواعد علم الأصول يمكن اعتبارها مهارات عقلية ناقدة تضاف إلى المهارات الناقدة الأخرى التي وضعها وصنّفها علماء التفكير ، وذلك ضمن آلية دمج معينة .

ثانياً – تشابه موضوع علم أصول الفقه بموضوع التفكير الناقد من الناحية المنطقية في الحكم والاستنتاج ، وهذا يثبت صلاحية علم أصول الفقه كمصدر من المصادر المعرفية للتفكير الناقد . ثالثاً – أصالة التفكير المنطقي في التشريع الإسلامي جعلت منه مصدراً من المصادر العقلية ، وهذه الأصالة لا يقلل منها استفادة علم أصول الفقه من التراث العقلي للأمم التي سبقت الإسلام تاريخياً ، لأن دور الفقهاء في الإسلام لم يقتصر على عملية التلقي وإنما تجاوزه إلى عملية نقد تراث الأمم السابقة ، وتطوير منهج إسلامي فريد لتقويم ذلك التراث الثقافي والعقلي والاجتماعي .

رابعاً - تفرد علم أصول الفقه بالحديث عن قواعد عقلية ومنطقية لا توجد في علم التفكير الناقد . مثل الحديث عن قواعد المفهوم والمنطوق ، وقواعد الترجيح " الجمع بين الأدلة أولى من العمل بأحدها " وغيرها .

خامساً – رعاية الإسلام للعقل وإنزاله منزلة مهمة في حياة المسلم الدينية ، وتتمثل هذه المنزلة في سلطة العقل التي منحه إياها الشارع في تحديد ما يسوغ شرعاً من العبادات وما يحرم منها (وفق الضوابط المتبعة) ، وما يترتب على المكلف من أحكام فقهية متعددة . وهذا من شأنه أن يعلي منزلة التفكير في عقل المسلم ووجدانه ، ويحفزه لاستخدام التفكير السليم في حياته كلها . سادساً – دراسة التفكير الناقد من خلال صور مختلفة من التراث الحضاري الفكري للأمم من شأنه أن يثري علم التفكير الناقد ، ويزيد من أساليبه المنطقية في التحليل والنقد ، ويقوّم بعض استراتيجياته العقلية . وهذا اتضح في ثنايا البحث عند دراسة التفكير الناقد من خلال علم أصول الفقه الإسلامي ، وكيف أن علم الأصول تفرد بذكر بعض المهارات الناقدة التي لا توجد عادة في مصادر التفكير الناقد . وهذا لا شك نتيجة حتمية للنظر إلى موضوع التفكير الناقد من زوايا حضارية مختلفة ، لأن دراسة الفكرة من أكثر من وجهة نظر يكسب الفكرة نفسها العمق والإثراء والتجدد .

التوصيات

أولاً – يرى الباحث أن دراسة مهارات التفكير عامة والناقد منها خاصة والبحث عن مضانها في العلوم الإسلامية المختلفة - كالفقه وأصوله ، والحديث ومنهجه ، والتفسير - يثري طرق التفكير واستراتيجياته العامة ، ويفتح أفاقاً عقلية تفكيرية متجددة . لذا أرى ضرورة اهتمام المتخصصين في مجال التفكير بدراسة الجوانب العقلية في العلوم الإسلامية ، وتوظيفها في تعليم التفكير .

ثانياً – تميز التشريع الإسلامي بحماية الجانب العقلي بأطر أخلاقية تقوم بتوجيه التفكير الوجهة السليمة ، وتحقق الاستخدام الأخلاقي الأمثل لأدواته في خدمة البشرية ، ودفع الضرر عنها . وهذا التوازن بين احترام التفكير من جهة ووضع محددات أخلاقية له من جهة أخرى من شأنه أن يضمن سلامة الممارسات العقلية للإنسان ، ويضع مسؤولية أخلاقية تجاه التفكير . لذا أوصي بدراسات أعمق لموضوع حماية الإسلام للجوانب العقلية وتوجيهها التوجيه السليم .

ثالثاً – عقد مؤتمر أو لقاء علمي حول " التفكير في الإسلام " يجتمع فيه علماء الشريعة بعلماء التفكير ، وتتخلله حلقات نقاش متخصصة بين الفريقين ، للخروج برؤية مشتركة حول نظرة

الإسلام الخاصة إلى التفكير ، ومدى الاستفادة من تلك النظرة في توجيه التفكير ، واستشراف أبعاد جديدة له . وعقد مثل هذه اللقاءات – في رأيي الخاص – ضرورة يحتمها واقع الانفتاح الحضاري ، و واجبنا الدعوي نحو تعريف الأخريين بنظرة الإسلام للتفكير ورعايته له .

فهرس المراجع

مراجع الفقه وأصوله

١- الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ

٢- الأم ،الإمام الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ،ط٢ ،١٣٩٣هـ .

٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد ، المرداوي ،دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤- تعليم علم الأصول ، نور الدين الخادمي ،مكتبة العبيكان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ

٥- حاشية البجيرمي ، سليمان البجيرمي ، المكتبة الإسلامية ، تركيا .

٦- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ،الزرقاني ، ٥٠٦/١ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١، ١٤١١ هـ

٧- شرح العمدة ،ابن تيمية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٨- شرح فتح القدير ، السيواسي ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ .

٩- علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف، دار القلم ، الكويت ، ط ٢٠ ، ١٤٠٦ هـ

١٠- اب المستصفى ، أبو حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ١٤١٣هـ .

١١- المغني ، ابن قدامة ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ .

١٢- الواضح في أصول الفقه ، محمد سليمان الأشقر، الدار السلفية ، الكويت ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ

مراجع مهارات التفكير

أولا- المراجع العربية

١- برنامج " RISK " لتعليم التفكير الناقد ، ناديا سرور ، مركز ديبونو ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .

٢- تعليم التفكير – تطبيقات عملية ، فتحي جروان ، دار الكتاب الجامعي ، العين ، ط١ ، ١٤٢٠هـ .

٣- تعليم التفكير الابتكاري والناقد – دراسة تجريبية ، فادية الخضراء ،مركز ديبونو لتعليم التفكير ، عمان ،ط١ ، ١٤٢٦هـ .

٤- تعليم التفكير للمرحلة الأساسية ، نايفة قطامي ، دار الفكر ، عمان ، ط١ ، ١٤٢١هـ .

٥- التفكير النقدي ، ستانلي ونك وآخرون ، ترجمة سناء العاني ، دار الكتاب الجامعي ، العين ، ط٢، ١٤٢٦ هـ .

ثانياً – المراجع الأجنبية

1-, PEARSON PRENTICE HALL , USA , S(ED.) , 2006 Critical thinking , Richard Paul – Linda Elder

2-Infusing The Teaching Of Critical And Creative Thinking into Secondary Science ,Robert Swartz and others , USA , 1998 .

ثالثاً- مراجع عامة

١- صحيح البخاري ، الإمام البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ،١٤٠٧ هـ

٢- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ،ط١ ، ١٤١٠ هـ .